وقفت قليلا أحدق في الفراغ الذي تركته خديجة، فرأيت وسط الفراغ طيفا شفافا يحمل شكل قوامها وملامح وجهها. لم يفرعني الطيف، فأنا أعرف أنه نوع من خداع البصر، الذي جاء نتيجة الإجهاد والتركيز الشديد عندما كنت أنظر إليها. أغمضت عيني أحاول أن أطرد طيفها من بصري وذاكرتي، ورجعت مسرعا إلى بيتي، وإلى غرفة مكتبي أحتمي بها من سطوة هذا الطيف، ولا أدري كيف أن عطبا حدث للعصب البصري بحيث صار يعيد إنتاج ذلك الطيف حتى وأنا أتصفح كتبي وكراريسي. أهملت الموضوع، فهو شئ طارئ سينتهي حال أن أذهب إلى النوم. ووجدت أنه فعلا قد انتهي أثناء ذلك، كما اختفى في صباح اليوم التالي وأنا أذهب إلى عملي، وأنهمك في الروتين اليومي للمركز، أناقش الباحثين وأراجع معهم الوثائق والبحوث. ولا أدري لماذا عندما جاء المساء وعدت إلى المركز أواصل عملا يتصل بأبحاثي الخاصة، بعيدا عن زحمة المراجعين والعاملين، وجدت أن طيف خديجة قد عاد إلى الظهور مرة أخرى. رأيت طيفها باسما كأنها تناديني وتهمس لي بتلك الكلمات التي أطربتني عندما سمعتها بالأمس:

ـ تلك الطفلة التي أحبتك وأحببتها.

لعل هذا هو الحب قلت في نفسي. لعلني حقا أحببتها من حيث لاأدري، وإلا ما الذي يجعلني مشغولا بها، لا أستطيع أن أرى، كلما خلوت إلى نفسي، إلا طيفها. ترى أي حب هذا الذي يمكن أن يجمعني بفتاة تصغرني أكثر من عشرين عاما وأنا الذي لم يعرف الحب إلا أوهاما أيام الصبا، أو أغنيات يسمعها في المذياع أو قصصا يقرأها للتسلية، والذي رتب حياته بعيدا عن هذا الترف الذي لايليق إلا باللاهين واللاعبين، لا بالرجال الذين كرسوا حياتهم للعلم أمثالي.

ثم كيف يمكن للقاء قصير، عابر، لم يدم أكثر من خمس دقائق، أن يوقد شعلة الحب، في قلب يغطيه رماد السنين.